

المخدرات والمباضع

« هو متطرف بمبادئه حتى الجنون »

« هو خيالي يكتب ليفسد أخلاق الناشئة »

« لو اتبع الرجال والنساء المتزوجون وغير المتزوجين

آراء جبران في الزواج لتقوضت أركان العائلة وانهدمت

مباني الجامعة البشرية وأصبح هذا العالم جحيمًا وسكانه شياطين »

« قهرا عما لا أسلوبه الكتابي من الجمال فهو من أعداء

الانسانية »

« هو فوضوي كافر ملحد ونحن ننصح لسكان هذا

الجبل المبارك بأن يذبذوا تعاليمه ويحرقوا مؤلفاته لئلا يعلق

منها شيء على نفوسهم »

« قد قرأنا له الأجنحة المتكسرة فوجدناها السم

في السم »

*
**

هذا بعض ما يقوله الناس عنى وهم مصيبون ، فأنا

متطرف حتى الجنون ، أميل الى الهدم ميل الى البناء ، وفي
قلبي كره لما يقدهه الناس وحبنا يا بونه ، ولو كان بإمكانى
استئصال عوائد البشر وعقائدهم وتقاليدهم لما ترددت دقيقة
أما قول بعضهم أن كتاباتى سم فى دسم فكلام يبين الحقيقة
من وراء نقاب كثيف - فالحقيقة العارية هى أننى لا أمزج
« السم » بالدم بل أسكبه صرفا . . غير أننى أسكبه فى
كؤوس نظيفة شفافة

أما الذين يعتذرون عنى أمام نفوسهم قائلين « هو خيالى
يسبح صرفا بين النجوم » فهم الذين يحدقون بلمعان تلك
الكؤوس الشفافة منصرفين عما فى داخلها من الشراب
الذى يدعونه « سما » لان معدم الضعيفة لا تهضمه
قد تدل هذه التوطئة على الوقاحة الخشنة ، ولكن
أليست الوقاحة بخشوتها أفضل من الخيانة بنعومتها ؟ ان
الوقاحة تظهر نفسها بنفسها أما الخبائث فترتدي بملابس
فصلت لغيرها

*
**

يطلب الشرفيون من الكاتب أن يكون كالنحلة التي
تطوف مرفرفة في الحقول جامعة حلاوة الأزهار لتصنع
منها أقراصاً من العسل

أن الشرفيين يحبون العسل ولا يستطيعون سواه ما كلاً
وقد أفرطوا بالتهامه حتى تحولت نفوسهم الى عسل تسيل
أمام النار ولا تتجمد الا اذا وضعت على الثلج

ويطلب الشرفيون من الشاعر أن يحرق نفسه بخوراً
أمام سلاطينهم وحكامهم ويطاركنهم . وقد تلبدفضاء الشرق
بنيوم البخور المتصاعدة من جوانب العروش والمذابح والمقابر
ولكنهم لا يكتفون . ففي أيامنا هذه مداحون يضارعون
المتنبي ، ورائون يضاهون الخنساء ، ومهنتون أكثر طلاوة
من صفي الدين الحلبي

ويطلب الشرفيون من العالم أن يبحث في تاريخ آبلتهم
وجدودهم ، متعمقاً بدرس آثارهم وعوائدهم وتقاليدهم صارفاً
أيامه ولياليه بين مطولات لغاتهم واشتقاقات ألفاظهم ومباني
معانيهم وبياناتهم وبديعهم

ويطلب الشرقيون من المفكر أن يعيد على مسامعهم
مقاله بيدبا وابن رشد واقرام السرياني ويوحنا الدمشقي وأن
لا يتعدى بكتاباتة حدود الوعظ البليد والارشاد السقيم
وما يجي بينهما من الحكم والآيات التي اذا ماتمشى عليها
الفرد كانت حياته كالأعشاب الضئيلة التي تنبت في الظل
ونفسه كالماء الفاتر المزوج بقليل من الأفيون

وبالاختصار فالشرقيون يعيشون في مسارح الماضي
المنابر ويميلون الى الامور السلبية المسلية الفسكة ويكرهون
البادي والتعاليم الايجابية المجردة التي تلمسهم وتنبيههم من
رقادم العميق المنمور بالأحلام الهادئة



انما الشرق مريض قد تناوبته العلل وتداولته الأوبئة
حتى تعود السمم والفساد والألم وأصبح ينظر الى أوصابه وأوجاعه
كصفات طبيعية بل كخلال حسنة ترافق الأرواح النبيلة
والأجساد الصحيحة فمن كان خالياً منها عد ناقصاً محروماً من
المواهب والكمالات العلوية

وأطباء الشرق كثيرون يلزمون مضجعه ويتآمرون
في شأنه ولكنهم لا يداوونه بغير المخدرات الوقتية التي
تطيل زمن العلة ولا تبرئها

أما تلك المخدرات المعنوية فكثيرة الانواع متعددة
الاشكال متباينة الالوان . وقد تولد بعضها من بعض مثلما
تناسخت الأمراض والعاهاات بعضها عن بعض . وكلما ظهر
في الشرق مرض جديد يكتشف له أطباء الشرق مخدراً
جديداً .

وأما الاسباب التي آلت الى وجود المخدرات فعديدة
أهمها استسلام العليل الى فلسفة القضاء والقدر المشهورة ،
وجبانة الأطباء وخوفهم من تهيبج الألم الذي تحدثه الادوية
الناجعة .

واليك أمثلة من تلك المخدرات والمسكنات التي يتخذها
الأطباء الشرقيون لمعالجة الأمراض العائلية والوطنية
والدينية .

ينفر الرجل من زوجته والمرأة من بعلمها لأسباب

وضعية حيوية فيتخاصمان ويتضاربان ويتباعدان ولكن لا يمر يوم وليلة حتى يجتمع أهل الرجل بأهل زوجته فيتبادلوا الآراء المزخرفة والأفكار المرصعة ثم يتفقوا على ایجاد السلام بين الزوجين فيأتون بالمرأة ويستهوون عواطفها بالمواعظ الملفقة التي تخرجهما ولا تقنعها ثم يستدعون الرجل ويعمرون رأسه بالأقوال والأمثال المزركشة التي تلين أفكاره ولا تغيرها . وهكذا يتم الصلح — الصلح الوقتي — بين الزوجين المتنافرين بالروح فيعودا قهرا عن ارادتهما الى السكنى تحت سقف واحد حتى « يبوخ » الطلاء ويذول تأثير المخدر الذي استخدمه الأهل والانسياق فيعود الرجل الى اظهار نفوره ومقتته والمرأة الى ازالة النقاب عن تعاستها . غير ان الذين أوجدوا الصلح في المرة الأولى يوجدونه ثانية ومن يرتشف جرعة من المخدرات لا يأبى شرب كأس دهاق يتردد قوم على حكومة جائرة أو على نظام قديم فيؤلفون « جمعية اصلاحية » ترمى الى النهوض والانعتاق فيخطبون بشجاعة ويكتبون بحماسة وينشرون « اللوائح

والبرامج « ويعثون « الوفود والممثلين » ولكن لا يمر شهر أو شهران حتى نسمع بان الحكومة قد سجت رئيس الجمعية أو عهدت اليه بوظيفة أما الجمعية « الاصلاحية » فلا تعود نسمع عنها شيئاً لان أفرادها قد تجمروا قليلا من المخدرات المهودة وعادوا الى السكنية والأستسلام

تمرد طائفة على رئيس دينها لأمر أولية فتنقد شخصه وتنكر أعماله وتبرم من ما آتبه ثم تهدده باعتناقها مذهبا آخر أقرب الى العقل وأبعد عن الأوهام والخرافات ولكن لا يمر ربح من الزمن حتى نسمع بان عقلاء البلاد قد أزالوا الخلاف بين الراعى ورعيته وارجعوا بفضل المخدرات السحرية الهيبية الى شخص الرئيس والطاعة العمياء الى نفوس المرؤوسين العقوقين !

يتظلم مغلوب ضعيف من ظالم قوى فيقول له جاره
« اسكت فالعين التي تماند السهم تفقر »

يشك القروى بتقى الرهبان واخلاصهم فيقول له

زميله « اصمت فقد جاء في الكتاب اسمعوا أقوالهم ولا
تفعلوا أفعالهم »

يعرض التلميذ عن استظهار مباحث البصريين
والكوفيين اللغوية فيقول له استاذه « ان الكسالى
المتوائين يختلفون لنفوسهم أعذار أقبح من الذنوب »
تمتنع الصبية عن اتباع عوائد المعجزة فتقول لها والدتها
« لست الابنة أفضل من أمها فالطريق التي سلكتها
تسلكينها أنت أيضاً »

يسأل الشاب مستفسراً معانى الزوائد الدينية فيقول
له الكاهن « من لا ينظر بعين الإيمان لا يرى في هذا العالم
سوى الضباب والدخان »

وهكذا تمر الأيام أثر الليالي والشرقي مضطجع على
فراشه الناعم . يستيقظ دقيقة عند ما تلمسه البراغيت ثم
يعود ويهجم جيلاً بحكم المخدرات التي تمازج دمه وتسير في
عروقه فاذا ما قام رجل وصرخ بالنائمين وملاً منازلهم
ومعابدهم ومحاكمهم بالضجيج يفتحون أجفانهم المطبقة

بالتعاس الأبدى ثم يقولون متثابرين « ما أخشنه فتي لا ينام
ولا يدع الناس أن يناموا » ثم يغمضون عيونهم ويهمسون
في آذان أرواحهم « هو كافر ملحد يفسد أخلاق الناشئة
ويهدم مباني الأجيال ويرشق الأنسانية بالسهام السامة »

*
**

قد سألت نفسي مرار ما اذا كنت من المستيقظين
المتمردين الذين يأبون شرب المخدرات والمسكنات . فكانت
نفسى تجيبني بكلمات مبهمه ملتبسه . ولكننى لما سمعت الناس
يحدفون على اسمى ويتأففون من مبادئى أيقنت بحقيقة
يقظتى وعلمت أننى لست من المستسلمين الى الأحلام
اللذيذة والخيالات المستحبة بل من أولئك المستوحدين
الذين تسيرهم الحياة على سبل ضيقة مغروسة بالأشواك
والازهار مخوفة بالذئاب الخاطفة والبلابل المترنمة
ولو كانت اليقظة فضيلة لمنعنى الاحتشام عن ادعائها
ولكنها ليست بفضيلة بل حقيقة غريبة تظهر على حين
غفلة للأفراد المستوحدين وتسير امامهم فيتبعونها قسر

إرادتهم مجذوبين بأسلاكها الخفية محققين بمعانيها المهيبة
وعندى أن الاحتشام في اظهار الحقائق الشخصية
هو نوع من الرياء الأبيض المعروف عند الشرقيين باسم
التهذيب

*
* *

غداً يقرأ « الأدياء المفكرون » ما تقدم فيقولون
متضجرين « هو متطرف ينظر الى الحياة من الوجهة
المظلمة فلا يرى غير الظلام وقد طالما وقف فينا نادياً نائماً
باكياً علينا متأوهاً لحالنا »

فلهؤلاء الأدياء المفكرين أقول — أنا أندب الشرق
لأن الرقص امام نعش الميت جنون مطبق
أنا أبكى على الشرقيين لأن الضحك على الأمراض
جهل مركب

أنا أنوح على تلك البلاد المحبوبة لأن الغناء امام
المصيبة العمياء غباوة عمياء
أنا متطرف لأن من يعتدل باظهار الحق بين نصف

الحق ويبقى نصفه الآخر محبوباً وراء خوفه من ظنون
الناس وتقولاتهم

أنا أرى الجيفة المنتنة فتشمز نفسي وتضطرب أحشائي
ولا أستطيع أن أجلس قباتها وفي يميني كأس من الشراب
وفي شمالي قطعة من الحلوى

فإن كان هناك من يريد أن يبذل نوحى بالضحك
ويحول اشمزازى الى الانعطاف وتطرفى الى الاعتدال
فعلية أن يرينى بين الشرقيين كما عادلا ومتشرعاً مستقيماً
ورئيس دين يعمل بما يعلم وزوجاً ينظر الى امرأته بالعين
التي يرى بها نفسه

إن كان هناك من يريد أن يشاهدنى راقصاً ويسمعنى
مطبلاً ومزمرراً فعليه أن يدعونى الى بيت العريس لأن
يوقفنى بين المقابر .

